الجسد والمراهقة – كشوفات جغرافية وصدمات نفسية –دراسة في التغيرات الفيزيونفسية لدى المراهقين

عباس الزهرة [1*] كرايس الجيلالي [2] يونسي عيسى [3]
جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم (الجزائر) جامعة أحمد بن بلة، وهران 2 (الجزائر) جامعة زيان عاشور، الجلفة (الجزائر)

Body and adolescence - geographical disclosures and psychological traumas
A study on the psychophysiology changes in adolescents

Abbas Zohra1* **Kerais Djilali 2** **Younsi aissa3**
University Abde hamid ben badis, Mostaganem (Algeria) University Ahmed ben bala, Oran2(Algeria) University Ziane achoure, djelfa (Algeria)

abbaszohra89@yahoo.fr kerais2014@hotmail.fr

تاريخ الاستلام:2020/01/27؛ تاريخ القبول: 2020/05/10؛ تاريخ النشر:2023/08/31

ملخص: يعتبر سن المراهقة، فترة عمرية حاسمة وحساسة في حياة الانسان، فهي تشكل لحظة عبور من مرحلة عمرية الى مرحلة اخرى، كما انها تتميز باضطرابات نفسية وتغيرات جسدية، في كثير من الاحيان تربك الطفل، او المراهق، وتجعله يشعر بالخجل، كونه لا يفهم ولا يدرك تلك التغيرات التي تطرا على جسده، خاصة اننا في مجتمعات شرقية، حيث لا يتلقى الاطفال في سن المراهقة اي تربية جنسية، كما انهم لا يحضون بالعناية الكافية، اذ تتم عملية تعرفهم على الغرائز الجنسية التي تتحرك فيهم فجأة، محدثة نوع من الصدمة النفسية، عن طريق الشارع او جماعة الاقران، بالإضافة الى المواقع الاباحية، وهذا ما يزيد من حالة القلق والضغط النفسي، بسبب تلك التغيرات الجسدية التي تجعل الجسد غريب عن صاحبه، وتكون مرحلة المراهقة بمثابة اعادة اكتشاف للجسد و لجغرافيته وتضاريسه، وهذا ما سنسعى الى توضيحه من خلال هذه الورقة البحثية.

الكلمات المفتاحية: جغرافيا الجسد، الصدمات النفسية، المراهقة، الجسد المنفلت جنسيا، عبثية الرشد.

Abstract: Adolescence is a critical and sensitive age in a person's life,It constitutes a moment of transit from one age to another, It is also characterized by mental disorders and physical changes It often confuses the child, or the teenager, and makes him feel shy, as he does not understand and does not realize these changes that affect his body, Especially since we are in eastern societies, where teenage children do not receive any sexual education, They also do not receive adequate care, as they are introduced to the sexual instincts that suddenly move in them, produced a form of psychological trauma, by street or peer group, In addition to porn sites, this increases the state of anxiety and psychological pressure, because of these physical changes that make the body strange to its owner, thus ,Adolescence will be a rediscovery of the body and its geography and topography, This is what we will seek to clarify through this research paper.

Keywords :Geography of the body. Psychological traumas.Adolescence. Body incontrollable sexually. Absurdity of maturity.

***corresponding author**

1- مقدمة

يقول **دافيد لوبروتون** في كتابه انتروبولوجيا الجسد: "إن الجسد لا يوجد إلا وهو مبني ثقافيا من قبل الإنسان"، أي أننا لا نستطيع الحديث عن جسد منفصل عن الهوية الثقافية التي يوجد بها، فتصورات وتحليلات الفكر الغربي للجسد، تختلف عما هي عليه في الفكر العربي الإسلامي. فهو مكون راسخ من مكونات البحث الاجتماعي والثقافي، لأنه بؤرة كثير من المحرمات والتحيزات والأحكام، مكانته في المجتمع تتقرر بالكيفية، التي يحرك بها هذا الجسد وكسوته وصونه وتهذيبه وتفاعله (هيلين ، جميلة ، 2010، 23).

إن الجسد بنية ثقافية تجمع الكيان المادي والروح المنفلتة، فتلك الصورة النمطية الموجودة على مستوى المخيال الاجتماعي، والتي تقر بأن ثنائية جسد- جنس متلازمة، يساهم المجتمع في تثبيتها لدى أفراده، لاسيما في مرحلة النضج الجنسي" المراهقة"، أين يظهر مفهوم "العيب والحرام" وهو ما يضع المراهق في حالة من التوجس، ويعيش معها أزمة صراع نفسي، بين رغباته الجنسية والفزع الأخلاقي، وهذا ما سنحاول دراسة في هذه الورقة العلمية والتي حصرناه في الإجابة على السؤال الرئيسي التالي: إلى أي مدى يمكن أن تشكل لعبة الجنس صدمة نفسية لدى المراهق في ظل القهر الذي يفرضه المجتمع؟ أو بعبارة أخرى هل ستكون علاقة خضوع أم انفلات؟

2 - منهجية الدراسة: يعد وضع البحث في إطاره المنهجي مكسبا يضفي للعمل صبغة علمية، فبالتالي الابتعاد عن كل ما هو معرفة عامية.

2-1- الفرضيات: تعتبر الفرضيات من بين أهم خطوات البحث، كونها تجعل الباحث يتموقع في طرح نظري وميداني معينين، ولذلك طرحتا الفرضيات التالية:

- تحكم جسد المراهق الغرائز و الميولات البيولوجية في ظل بيئة اجتماعية وثقافية معينة.
- تعترف المجتمعات الذكورية ببلوغ الذكر وتقلق منه لدى الأنثى.
- النضوج الجنسي لدى المراهق يتموقع بين البحث عن المتعة والفزع الأخلاقي المجتمعي.

2-2- أجرأة المفاهيم تشكل المفاهيم والمصطلحات العلمية مجموعة " الوسائل الرمزية التي يعتمد عليها الإنسان في التعبير عن المعاني والأفكار بغية توصيلها للآخرين، وغالبا ما تعبر عن الصفات المجردة التي تشترك فيها الأشياء والظواهر والحوادث، سواء أكانت طبيعية أم اجتماعية"(أبو طاحون، 1997، 42). إذ نحاول في هذا الجزء تقديم ضبط دقيق للمفاهيم الإجرائية التي تستند إليها الدراسة، وذلك في محاولة لتوضيح كيفية توظيفها و تفاديا لكل ما من شأنه أن يؤدي إلى تأويل مغالط لنتائج هذه الدراسة، فكانت:

أ. **جغرافيا الجسد:** وهي مجموع التغيرات الفيزيولوجية والشكلية التي تطرأ على جسم المراهق من الجنسين، حيث تكون أكثر وضوحا على جسد الأنثى، كما أنها تعجل المراهق يكتشف وظائف جديدة لبعض أعضائه.

ب. **الصدمات النفسية:** هي التغيرات النفسية التي تمس المراهق، وعلى إثرها ينتقل من مشاعر الطفولة إلى مرحلة النضج النفسي، أين يظهر التمرد وحب إثبات الذات. كما إن التغيرات الجسدية التي تطرأ دون تهيئة نفسية من قبل الأسرة، تجعله يشعر بالخجل والانسحاب، أين يشكل الجسد عبأ على المراهق خاصة الأنثى.

ت. **المراهقة:** هي مرحلة عمرية مفصلية بين الطفولة والشباب، تحدث فيها تغيرات نفسية وفيزيولوجية، تربك المراهق وتجعله يكتشف عالم الجنس واللذة والشهوة، ويصبح أكثر جموحا إلى الخلص من سيطرة الأسرة.

ث. **الجسد المنفلت جنسيا:** ونقصد به أن التنشئة الاجتماعية تلعب دورها في تكوين تصور اجتماعي، ثقافي، حول الجسد لدى المراهق من الجنسين، أين تتشكل العلاقة مع هذا الجسد وتظهر بوادر النضوج الجنسي، حيث يتحرر المراهق من الرقابة المفروضة عليه ويصبح في عملية بحث مستمرة عن إشباع رغباته الجنسية.

ج. **عبثية الرشد:** البحث عن إشباع الرغبة الجنسية، بمختلف الطرق، حيث ينتقل الطفل من عبثية الطفولة والبحث عن حاجات بيولوجية مثل الأكل والشرب، إلى البحث عن حاجات نفسية عميقة، وتسبب الخجل حسب ثقافة المجتمع المحلي، حيث أن الرغبة الجنسية والتعبير عنه مرفوض اجتماعيا.

2-3- المنهج المتبع: اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي، كونه يتلاءم مع البحوث الكيفية، والتي تسعى إلى البحث في الرموز والدلالات والمعاني التي يطلقها الأفراد على أفعالهم

2-4- المدخل النظري: سنعتمد في هذه الورقة البحثية، على نظرية علم النفس التحليل التي جاء بها يونغ Carl Gustav Jung وهو احد تلاميذ فريد، لكنه اختلف معه في فكرة اللاشعور الجمعي، الذي اعتبره من بين محددات الشخصية، إضافة إلى اللاشعور الفردي الذي ينطلق من الرغبات والمكبوتات والذكريات، إلا أن إضافة يونغ تكمن في أهمية البيئة والمحيط الاجتماعي، خاصة أننا نتناول الجسد داخل المجتمع، أين يبحث المراهق عن تلبية حاجياته الجنسية لكن هو أيضا محكوم بالرأي العام لمجتمعه، وثقافته الأصلية.

2-5- تقنية الدراسة: اعتمدنا على تقنية الاستمارة بالمقابلة في جمع المعطيات، والتي تتكون من ثلاثة محاور- التي على أساسها خضعت المعطيات للتحليل- إضافة إلى محور البيانات الشخصية، موجهة لعينة من التلاميذ، إضافة إلى تقنية الملاحظة المباشرة كتقنية مساعدة خاصة أن بحثنا يرتكز على الجانب النفسي.

2-6- العينة ومجتمع البحث(أنظر الملحق رقم 01): أما فيما يخص مجتمع البحث فكان تلاميذ السنة الأولى ثانوي بثانوية محمد بوضياف ببلدية خميستي بولاية تيسمسيلت، أين اخترنا عينة قصدية شملت17 تلميذا توزعت بين 10 ذكور و7إناث، على اعتبار أن المرحلة العمرية لهؤلاء التلاميذ تتماشى وخصائص المراهقة، التي حددها علماء النفس، وكان ذلك في الفترة الزمنية الممتدة من شهر فيفري إلى أفريل2019 التي شملت جميع مراحل الدراسة.

3 - المراهقة ميلاد الجسد الجديد

يقول «جاك لوقوف»: "نسي التاريخ والمؤرخون الجسد رغم انه كان ولا يزال صانع المأساة"(بن حتيرة، 2008، 13) أنها حقيقة نعيشها، خاصة في مجتمعاتنا الشرقية، أين يعتبر الجسد ملك للمجتمع، فيتحكم فيه ويحدد أدواره العلنية، فهو لا يعترف بتلك التغيرات التي ترافق سن الرشد، لكن بعد الانتقال إلى حياة البالغين، تصبح المراهقة وسمة عار تلحق بالطفل، كونه ينتقل من فكرة الطهارة المطلقة، حيث نجد المجتمع يطلق تسمية الملائكة على الطفل الصغيرة، في إشارة إلى الطهارة، إلى ثنائية الطهارة والنجاسة في نفس الوقت، وذلك بسبب الإفرازات الجنسية، مثل الاحتلام، وعدم تقبل الأسرة للفكرة، خاصة عند اقاضه لصلاة الفجر، فلا هو يستطيع التصريح بجنابته، ولا الأب يريد أن يتقبل نومه عن الصلاة، وهذا ما عبر عنه اغلب المستجوبين، وهو نفس الأمر بالنسبة للأنثى مع الحيض والعدة الشهرية، والانقطاع عن الصلاة وعن الصوم، دون القدرة على التصريح بذلك، إن كل هذا يعتبر معاناة حقيقة يمر بها المراهق.

وعليه أن يتحمل تبعاتها، خاصة الأنثى، في مجتمع شرقي ذكوري وأبوي، فرغم أن حياتنا السرية مليئة بالجنس، وربما هو أكثر ما نبحث عنه يوميا، بمختف أعمرنا ومستوياتنا، لكننا تحت هيبة المجتمع ومؤسساته، فلا يمكن أن نكون سوى رهاب يتبتلون في صوامعهم، او راهبات نذرنا أجسادهن لخدمة الرب، هكذا يومنا المجتمع، لكن الحقيقة غير ذلك، وهنا تبرز مرحة المراهقة كمعاناة قاسية وتجربة مريرة يمر بها الطفل، وهو يعيش تحولات عميقة، وتغيرات في جغرافيا الجسد، لم يكن مستعدا لها، ولا احد يريد أن يرشده إلى ما يحدث، خاصة التحولات الجنسية، وما يطرأ على الأعضاء التناسلية من تغيرات، وبروز وظائف جديدة لها، تكون أحيانا مفزعة، خاصة أن الطفل في مجتمعنا، لا احد يهتم لجسده العاري، لكن فجأة يقمع جسده، ويطلب منه ستره، والتحفظ عليه، خاصة الأنثى، حيث يعد تقسيم البيت بين الذكور والإناث، ودخول مفهوم الاستئذان، والفصل بينهم في المضاجع، وربما يكون الاحتلام للذكور والعادة الشهرية للإناث، اكبر صدمة، لمجتمع لا يريد أن يعترف بنواميس الكون.

ربما فكرة الجسد الجديد تولد في الليل، حيث وأثناء النوم يكون أول احتلام، بمثابة روح الأسلاف التي أفزعت الإنسان البدائي، وجعلته يكتشف الطوطم، وعالم الأرواح، فكذلك النفس والرغبة والشهوة، تكتشف إثناء الليل، فبينما ننام في أول الليل أطفالا، لكننا سنكون في الصباح الباكر بالغين ومكلفين، وباحثين منذ تلك اللحظة عن إشباع رغبتنا الجنسية، التي تهاجمنا ليلا، فنكتشف أن لأجهزتنا البولية وظائف أخرى، أكثر لذة ومتعة ودهشة، مما كنا نعرفه عنها، حيث صرح احد المبحثين: "في أول مرة احتلمت فيها، لم افهم ما حدث لي، أصابني الخوف والخجل، لم استطع الحديث لأحد لقد اعتقدت أنني قد تبولت على نفسي"(مقابلة رقم 03، يوم 2019/04/13)، أنها دهشة ممزوجة باللذة أيضا، وربها هي اللحظة التي سيولد فيها الذكر المعتز بفحولته، هي نفسها اللحظة التي سيبني فيها الذكر حياته حول عضوه التناسلي، وكأنه اكتشف عالما مغريا كان محجوبا عنه، حيث يصبح حجم العضو والتباهي وبه والحديث عنه وبه، ووصف كل الأشياء انطلاقا منه، هو حياة هذا المراهق الذي اكتشف جسده اللحظة، حيث يرى مالك شبل، إن هناك أهمية لأحجام الأعضاء التناسلية الذكورية(شبل، 2010، 142).

الإنسان وخلال مراحل حياته يمر بتغيرات فيزيولوجية ونفسية، تعرف بنقطة تحول او انتقال من مرحلة إلى مرحلة عمرية لاحقة، فالانتقال من الطفولة إلى المراهقة يحتاج إلى إشباع حاجات بيولوجية ونفسية وجنسية وغيرها، غير أن بعض هذه الحاجات تكتسي طابع اجتماعي ثقافي، أي أن الجماعة الضاغطة والمجتمع القامع سيتحكم في منحى سيرها، والحاجة للإشباع الجنسي لا تظهر إلا بعد سن البلوغ عند الفرد، أين تتحرك الغريزة ويكتشف الوظيفة الثانية لأعضائه التناسلية، ويظهر معها التمرد وإثبات الذات، الذي سرعان ما يقابل بالقمع.

ويكمن ذلك في وظيفة التدبير والتهذيب، لتشكيل سلوك الفرد ومده بمنظومة قيمية، وتحديد نمط سلوكه اليومي، وهذا ما عبر عنه يونغ باللاشعور الجمعي، حيث يستلم منا المجتمع أجسدنا، ليشرف هو على ضبط وتحديد مستقبلها، حيث انه لا وجود للجسد في حالته الطبيعية، إذ يتحدد دائما داخل نسيج المعاني(لوبورتون، 2014، 64)، هي معاني تريد الحفاظ على روح الجماعة أولا، حتى وان كان ذلك على حساب تحطيم نفسية المراهق، المرهقة أصلا، فالمجتمع لا يعمل على مرافقة مرحلة المراهقة، وتوجيهها، ولا هو قادر على إيقاف ميولات المراهق ورغباته، الجنسية، الطائشة والجامحة، لكنه يمارس الرقابة المفرطة، والعقاب، والقمع، وهنا تكون مخارج النجدة هي المسلك الوحيد للمراهق، للتعبير عن رغباته الجنسية، حيث ينتقل إلى الممارسات الجنسية الهامشية، والبحث عن المعرفة والثقافة الجنسية عن طريق الشوارع الجانبية، لمؤسسات التنشئة الاجتماعية، خاصة ونحن في عصر التكنولوجيا الرقمية، اذا أصبح التعرف على الجنس في سن جد مبكرة، او ما يمكن تسميته بالنضوج الجنسي المبكر، حيث توصلت دراسة حول إدمان المواقع الإباحية لدى من هم اقل من سن المراهقة،

إلى أن 68.9%من تلاميذ المتوسطات يتابعون المواقع الإباحية، ويعتبرون أن الوسائط الرقمية سهلت لهم كيفية الوصول إليها ومشاهدتها(زمام، كرايس،2017 ، 22).

وهنا تفقد التنشئة الاجتماعية ومؤسساتها دورها الرقابي والتربوي، وتكتفي بممارسة القمع،اذا أصبح الأفراد حكاما على أنفسهم، ومن ثم تتعزز الرقابة الخارجية عليهم برقابة داخلية، وما انضباط الفرد وفق القيم إلا دليل على سلطة المنظومة القيمية والمجتمعية، ولكن إلى أي حد يساهم التهذيب في تعميق الفروق بين الذكر والأنثى؟(قرامي،2007، 169)، فهي رقابة بصيغة جمع المذكر السالم، فالذكر المراهق رغم قمعه، إلا أن جسده غير مرتبط بفكرة العار التي ستلاحق الأنثى، منذ أول دورة شهرية، وتغير جغرافيا جسده، الذي يصبح بحاجة إلى الحجب والحجز والتغييب، ولذلك تعتبر المراهقة في مجتمعاتنا الشرقية، نوعا من المعاناة يكون الجسد فيها عنصرا محوريا، فمجتمع البالغين يرفض التحاق عضو جديد به، فالمراهقة وتغير ملامح الجسد، يعني كشف عالم البالغين وتعرف أشخاص جدد عليه، هم نفس الأشخاص الذين ظل المجتمع يتهرب منهم ومن سؤالهم الأزلي كيف جئنا للوجود؟ حيث تبقى عملية الرد عن طريق القمع والرفض، لكن تلك العقلية ليست بحل، حيث أن قمع الطاقة الجنسية وكبتها لا يسمح بالتسامي بها، بل سيكون سببا لتفجيرها(الحيدري،2003، 134). إذ يؤدي إلى انفلات المراهق ذكرا كان او أنثى، والبحث عن مصادر معرفة أخرى، والعمل أيضا على إشباع رغباته، التي ستكون على ارس اولوياتها، عن طريق الممارسات الجنسية الهامشية بكل أنواعها، بداية من العادة السرية وصولا إلى إتيان الحيوانات، حيث يرى مالك شبل أن التعرف على الجنس عن الشباب المغاربي، خاصة البوادي يكون من خواصر الحيوانات التي يقاسمونها نفس السقف(شبل، 2010، 44).

إن كل هذا مرتبط بالجسد الجديد الذي ولد، وبالنفس والرغبة التي حلت فيه، وأصبحت تقوده وتتحكم فيه، إضافة إلى ثقافة المجتمع المتكتم جنسيا، رغم علمه بكل ما يحدث، حيث صرح احد المبحثين: "أمارس العادة السرية منذ أن كان في عمري 9 سنوات، وذلك بعد أن شاهدت أخي الأكبر مني خلسة وهو يشاهد المواقع الإباحية ويمارس العادة السرية"(مقابلة رقم 15، يوم 2019/04/20)، وهذا ما يمكن تسميته بالاكتشاف والانصياع في نفس الوقت، فليس هناك رغبة تسيطر علينا مثل رغبة الجنس، وتواصل جسد كع جسد أخر، ولذلك يعتبر الجسد في سن المراهقة، بمثابة اكتشاف صندوق من الألعاب بالنسبة بطفل صغير، حيث يتحول جسدنا إلى اكبر مصدر للغواية والإغراء لذواتنا ولغيرنا من الذوات.

4- جغرافيا الجسد فيما بعد المراهقة: انتصار للذكر وانتكاسة الأنثى:

يقول «جون ستيوارت ميل»: "هناك مبدأ يقوم تبعية احد الجنسين للآخر، (النساء) للجنس الأخر (الرجال)" (ستيوات ميل، 1998، 11)، هي ثقافة كونية، لا يمكن أن نقول أنها شرقية او غربية، فإذا كانت المرأة في الشرق، مقيدة وملعون جسدها خارج البيت، وهو جسد يخضع للملكية الخاصة، فان المرأة في الغرب، قد تحررت إلى أن استعبدت طواعية، فالغرب بكل حضارته، لا زال يعتقد أن المرأة تمتلك جسدا يصلح لإمتاع الرجال، فقط الغرب رفع كل القيود عن الوصول إلى هذا الجسد، وحوله إلى ملكية عامة، وخضوع كل نساء برغبتهن، لكل الرجال في المجتمع، يحتل فيه الجنس بكل أنواعه، مرتبة همة في العلاقة بين الذكر والأنثى، وإذا عدنا إلى طبيعة هذه العلاقة التي أصبح فيها الجسد، يشكل رابطا اجتماعيا، ينتصر للذكر ويلعن الأنثى، فإننا نعود إلى مرحلة المراهقة، حيث تتمايز الأجساد، وتصبح تواقة لبعضها البعض، وتصبح المتعة والبحث عن الإشباع هاجس الجميع، وهنا يتدخل المجتمع ليصون العرض، عن طريق سلطات غير محدودة للذكر، وفي نفس الوقت حجز وحجب للجسد الأنثوي، الذي تظهر مفاتنه، ولا يستطيع الذكور مقاومته، فمثلا بداية بروز الثديين عند الأنثى يشكل لحظة فارقة في حياتها، اذا تشعرها الأسرة أن جسدها أصبح مصدر قلق، فستتغير نواميس الكون بالنسبة لها، لبسها، طريقة لعبها، مع من تلعب، الوقت الذي تخرج فيه من البيت، الوقت الذي تدخل فيه.

كلها تحولات ربطت بجغرافيا الجسد، وهي مفاجأة للأنثى في سن المراهقة، كونها تحدث دون تمهيد او تأهيل لها، تقول إحدى المبحوثات: "بدا صدري ينتفخ، مع الم عند تلمسه، أخبرت أمي، فلم تقل شيء، لكن طلبت مني أن البس عباءة ومنعتني من اللعب مع أبناء الجيران"(مقابلة رقم: 8 يوم 2019/04/15)، حيث ترى الباحثة صوفية السحيري بن حتيرة أن هناك حذر وشطب وتحذير وإقصاء للجسد الأنثوي الباعث على القلق(بن حتيرة، 2008، 44)، فإلام انتصرت لذكور الحي، وفي نفس الوقت هي تحمي ابنتها، وذلك عن طريق ستر او إخفاء وإضمار جسدها الجديد، الذي بعثت فيه النفس والرغبة، كما بعثت في أجساد أقرانها من الذكور، وهنا على المجتمع أن يحاول صيانة مكوناته، لكن دائما عن طريق قمع الأنثى، وتحميلها مسؤولية ما يمكن أن يحدث.

الفحولة والشرف مفهومان يكونان منظومة ثقافية قيمية في المجتمعات العربية، فالفحولة هي انتصار للذكر واعتراف بقدرته الجنسية، خصوصا وانه خاض تجربة الختان المؤلمة ليثبتها، فبروز العضلات وتغير مرفولوجية جسده، وكذا نبرة صوته، كلها عوامل تدفعه لتمرد وتجعله يستظهر قوته، التي منحته إياها الطبيعة، على مستوى اللفظ أو الممارسة، في مقابل ذلك هناك انتكاسة للأنثى التي تبقى موضوع رغبي وشهوي مطلوب من قبل الرجل(محمود، دون سنة، 175)، كما أن دم الحيض يعتبر شيء مدنسورمز ضعف، وينقص من شأن المرأة داخل الأسرة وداخل المجتمع، ولعل سبب هذا التصور الدوني للجسد الأنثوي هو ما اعتبره المؤرخ الفرنسي ميشيليهMichelet الذي عاش في القرن التاسع عشر أن الديانتين المسيحية واليهودية كانتا السبب الرئيسي في جعل المرأة كائنا سيئا، فهي الساحرة والمشعوذة وحاملة اللعنة الأبدية، وهي كلها نتائج للخطيئة الأولى التي حملتها الكنيسة لحواء(حسني إبراهيم، mahapress.com).

وإذا كان البلوغ بالنسبة للذكر رشدا وتكليفا، فانه للمرأة نوع من النجاسة، مع إمكانية جلب العار، فهي تتحول إلى كتلة لحمية مرغوبة من طرف الذكور، الذين ينمو لديهم العضو الذكري، ويتحول إلى أهم شيء فيهم، فهو لا يفارق حديثهم والتفاخر به، وحتى الأنثى نجدها إثناء إظهار قوتها، او دخولها في عراك مع صديقتها، فإنها تستعمل العضو الذكري في السب والشتم، وهو اعتراف منها بنقصها، وبان الذكورة خير من الأنوثة، وهي بذلك لا ترغب في جسدها، وتعتبره مصدر ضعف وقلق، وهذا راجع إلى الثقافة الذكورية، التي يعمل المجتمع على إعادة إنتاجها في كل ممارساته، حتى تبقى الأنثى من بين لواحق الذكر، او بعض من أغراضه، حيث يرى هشام شرابي، أن البنت منذ نعومة أظافرها تدفعها العائلة إلى الشعور بأنها غير ضرورية وغير مرغوب فيها(شرابي، 1984، 39)، وهذا النوع من التربية في حد ذاته، يؤدي إلى صدمات نفسية، لكن البنت يجري تحضيرها للزواج، ولتكون حياتها الحقيقة عند زوجها، فوجودها في البيت هو فترة مؤقتة، كما أن بداية نضوج جسدها، هو عامل أساسي لترسيخ فكرة الزواج ومغادرة الأسرة في اقرب وقت.

بينما الذكر يتم تكوينه من اجل البقاء، فهو صاحب البيت، وهو من سيأتي بزوجة من عائلة أخرى، ولذلك تجري عملية توطيد علاقته مع العائلة، حتى لا تتحكم فيه الزوجة القادمة، وذلك عن طريق غرس وتعزيز فكرة الذكورة والفحولة، في ممارساته، والتخفيف من تلك الصدمات النفسية التي قد ترافق عملية التحول من الطفولة إلى الرشد والبلوغ، حيث أن الفوارق الجنسية وهندسة الجسد، هي التي ستضمن إنتاج ذكر بهوية ذكورية، وتضمن إنتاج أنثى بهوية أنثوية، ولذلك يجري التركيز على الفوارق الجنسية، حيث يسمح للطفل بالتلفظ بالكلام الفاحش داخل البيت، واستعمال عضوه الذكري، في الحديث، بل هم أمر مرغوب ويعبر عن فحولة ذكر جديد، بينما لا يسمح نفس الأمر للأنثى، التي يجري تحذيرها من جسدها، ويرتكز كل الاهتمام على غشاء بكراتها.

إذن هناك نوع من التقابل، بين الظهور والبروز والقوة، بين الضمور والاختفاء والضعف، وسنجد كل التقسيمات الاجتماعية، بمنية حول هذه الفكرة، حيث يرى بيار بورديو أن المظاهر الجنسية بين الجنسين هي الضامن المسلم به للتفريق

وبناء نظام اجتماعي بين الجنسين(بورديو، 2009، 45)، إذ يمكن القول أن المجتمع يميل إلى الذكر، ويرفع عنه كل حرج، في رغباته الجنسية، ويجد له العديد من المبررات، فمثلا نجد في مرحة المراهقة، مناك بعض الذكور من يظهر لديهم انتفاخ في الثديين، وبروز لهما، ونجد هذا الأمر يسبب الكثير من القلق والاكتئاب لدى المراهقين، لكن الثقافة الشعبية تربط بيم ذلك الانتفاخ (الفولاة) وبين ممارسة العادة السرية، وكأنها ترفع الحرج عن الذكر، وتخبره أن ذلك الأمر لا علاقة له بالأنوثة، بل هو تعبير عن الفحولة والذكورة الزائدة، حيث أجاب احد المبحثين: "كخرجولي الفولات تعقدت وبداو صحابي يضحكو علي ويقولولي المدامة، من بعد عرفت بلي الفولات يخرجو من العادة السرية، ضرك عادي ما نحشمش بهم"(مقابلة رقم 03، يوم 2019/04/13)، وهذا نوع من التخفيف من صدمة المراهقة وما يرافقها من تغيرات في هندسة الجسد.

من جهة أخرى تبرز دونية الأنثى، في كون جسدها يحمل شرف العائلة، المتمثل في غشاء البكارة، ولعل مسألة المحافظة عليها أكثر تعصبا في الثقافة العربية، أين يعرف الباحث الجزائري **مالك شبال**Malek Chabel العذرية على أنها: "أحد الطقوس الأكثر قساوة في تاريخ الحياة الجنسية عند المرأة العربية، تحاول الفتاة الحفاظ على غشاء البكارة بكل الوسائل التي تعبر شعائريا على دخولها في عالم الجنسية، الاجتماعية والتي تفتح لها باب الزواج"(CHEBEL ,1993, 322)، في حين إذا اتجهنا إلى الفكر الغربي ورغم الحث على ضرورة محافظة الأنثى على عذريتها، إلا أنهم أكثر تحرر في مسألة الممارسة الجنسية قبل الزواج، وهذا راجع لكون الفرد في الثقافة الغربية يستطيع أن يستقل عن عائلة إن بلغ سن الرشد الاجتماعي القانوني (18 سنة)، وهذه الاستقلالية ستمنحه الحرية لممارسة كل شيء، في المقابل نجد الفرد في مجتمعنا وفي هذا السن لا يزال يعتبر مراهقا ويعيش تحت مظلة الضبط المجتمعي.

من هنا يمكننا القول أن سن المراهقة وبداية التغيرات الجسدية والنفسية، هي التي سترسم مستقبل الذكر والأنثى داخل المجتمع، حيث نصبح الأجساد من جهة تواقة للجنس، كونها اكتشفت هذه الرغبة حديثا، ومن جهة أخرى يتدخل المجتمع ليستلم الأجساد من المراهقين، ويضمنها ثقافة المجتمع، وقيمه ونظرته للجنس، حيث يكرس للذكر ويصفح عن كل رغباته وطيشه الجنسي، بينما يحجز على الجسد الأنثوي، يرفض الاعتراف برغباته، وفي نفس الوقت يحمله مسؤولية أي خطيئة جنسية، فالأنثى تمتلك جسدا مرغوبا فيه، والذكر يمتلك جسدا راغبا وجامحا وغير متحكم فيه.

5- عبثية الرشد: الجنس اللعبة المفضلة

يقول «محمد إبراهيم سرتي»:" الإغراء الجنسي هو بالفعل أكثر الأسلحة فتكا بالرجل"(سرتي، 2008، 103)، هي حقيقة أشارت إليها حتى النصوص المقدسة، حيث بينت أن الرجل ضعيف أمام أي جسد أنثوي، وبذلك فان وجود أنثى خارج المجال الأنثوي، يعتبر دعوة للغواية والإغراء، الذي من الصعب كبته او التحكم فيه، وهي حالة نفسية وجسدية يدخلها الإنسان في مرحلة المراهقة، حيث ينتقل من عبثية الطفولة، والتعلق باللباس والأكل والشرب والألعاب، إلى التعلق بالأجساد، وتحول الممارسة الجنسية إلى أفضل تسلية او ترويح عن النفس يتحصل عليه المراهق، حيث تصبح أجساد الإناث لعبة الذكور المفضلة، وتصبح أجساد الذكور هي الأخرى، لعبة الإناث المفضلة، فالرغبة الجنسية تتكون، مع تلك التحولات والتغيران في جغرافيا الجسد، الذي يصبح مغريا ويمارس الكثير من الغواية، سواء كان عاريا او محجوزا، فحتى مخيلتنا تتطور وتتحول إلى مخيلة يمتلك الشيطان صحة كبيرة منها، وهو الذي يزودنا بالكثير من الأفكار التي تتماشى وطبيعة أجسادنا في ما بعد البلوغ، يقول المبحوث رقم 16: "أول ما مارست الجنس كان عم ابنة خالتي التي تزورنا دائما في العطل، لكن قبل سنتين وجدت نفسي أداعبها في صدرها ومؤخرتها ثم مارست معها الجنس لد تغير شكلها بالنسبة إلي"(مقابلة رقم: 16، يوم 2019/04/19)، فتحرك الرغبة فينا وتزامنه مع الكشوفات الجغرافية الجديدة داخل فضاء الجسد، يجعل من المتعة الجنسية أفضل هدية تتحصل عليها.

يصاب المراهق بنوبات فزع أخلاقي، عندما يفكر في خوض تجربة جنسية عن طريق مشاهدة المواقع الإباحية، أو ممارسة العادة السرية، التي تجعله يعيش لعبة الجنس الحقيقية بنفسه، والتي كانت تدير مشاهدها وأدوارها في وقت سابق ـ أي مرحلة الطفولة- الدمى والعرائس وقبلات الأمير للفتاة النائمة... هذا الفزع الأخلاقي الذي فرضته الرقابة المجتمعية على أفرادها، وجعلت من الجنس طابوهات يحرم الاقتراب منها، أو حتى التفكير بها خصوصا خارج إطارها الواضح والمعروف وهو الزواج، ولذلك يفرض المجتمع عدة ترتيبات لصيانة الأجساد، وللحد من الاستهلاك الجنسي، الذي تعتبر المرأة هي المسؤولة عنه، فجسدها يثيرنا في إقباله وإدباره، ولذلك فرض الحجاب على المرأة، كون المجتمع يلزم الأنثى بتحمل تبعات شهوة الرجل(صائب، 2014، 96)، كون الذكر في المجتمع الذكوري وبعد البلوغ، يصبح كتلة من الشهوة والرغبة الباحثة عن إي جسد تتواصل معه، كما أن علاقات الذكر الجنسية تعتبر في ثقافة المجتمع سطحية وعابرة، ولا يترتب عنها مفهوم العار والفضيحة، عكس الأنثى التي لا غفر المجتمع هفواتها الجنسية، خاصة اذا حصل الحمل، ولذلك تقوم الأسرة خاصة الأمة والخالة والأخت الكبرى، بتوجيه المراهقات، ولفت انتباههن إلى أجسادهن، وكيفية صيانتها وخاصة البكارة.

إذ يمكن القول أن الجسد الأنثوي اليوم، لم يعد مقدسا كما كان في الماضي، بل أصبح قابلا للتفاوض والتنازل، فقط البكارة هي التي لا تزال محوريا وأساسيتا وغير قابلة للنقاش، وهذا راجع إلى الثقافة الغربة التي تسللت إلينا وتكوين العلاقات الغرامية، والمواعدة، حيث اضطرت الأم او الأخت او الخالة، إلى فتح بعض الهوامش من الحرية في التعامل مع الجسد بالنسبة للمراهقة، مع إحاطة البكارة بهالة من القداسة والخوف والتحذير، وهنا يتحول الإنسان إلى منتوج جسده(لوبورتون، 2014، 33).

وإذا عدنا إلى عالم الرمزيات سيجعلنا نظن أن ثنائية الجسد والجنس، لا يجب أن تلتقيا في الثقافة العربية إلا في إطار المشروع دينا والمقبول اجتماعيا، غير أن الحاجة البيولوجية الجنسية تجاوزته، وهذا ما يفسر الانفلات الجنسي الممارس، والذي تبيحه العلاقات العاطفية الهامشية، التي تحتمي تحت لواء الحب والممارسات العاطفية، كما ترخصه البغايا مقابل مبالغ مالية، جعلت الجنس وتواصل الأجساد ممكنا خارج إطار الزواج، خاصة وان المراهقة أصبحت الآن في سن مبكر، بسبب المواقع الإباحية، وتراجع دور الأسرة في عملية الضبط الاجتماعي، ولذلك أصبح هناك جنس هامشي وسطحي بين الذكور والإناث وهو مسكوت عنه وغير معترف به، ثمل كل أنواع المداعبة، او الإتيان من الدبر، حيث إن عملية البلوغ، تحول الجنس والمتعة الجنسية إلى نوع من العبثية التي تلي حالة الصدمة النفسية التي ترافق المراهقة في بدايتها، وبعدها ينفتح المراهق على كل شكل الممارسات الجنسية، بما فيها ممارسة الشذوذ، وهذا بحثا عن الإشباع الجنسي، الذي تحول إلى نوع من العبثية التي تعصف بسن الرشد، فهم مقموع في العلن ومعربد في السر، هذا القمع كان الدافع لخوض غمار اللعبة في الخفاء، وهو ما أدى إلى ظهور ممارسات شاذة تجاوزت المشاهد الطبيعية لممارسة الجنس بين رجل وامرأة، إلى الممارسة بين الجنس الشواذ، ثم الجنس الجماعي، وظهور أمراض نفسية جنسية مثل السادية والمازوشية.

إضافة إلى هذا، أن هناك ما تسمى بأكذوبة العذرية وهي الفكرة التي طرحتها طبيبتان أجريتا بحثا في الصحة الجنسية حول الجهاز التناسلي عند المرأة عنون بـ: «The wonder down Under »، أين أكدتا أن غشاء البكارة ليس دليل على العذرية، وأنها حقيقة معروفة في الوسط الطبي، منذ أكثر من مئة عام، لكن ما يصعب تصديقه في هذه الحقيقة هو الخرافتان التي تقول أولاهما أن الغشاء يدمر وينزف بعد الاتصال الجنسي الأول للأنثى، والخرافة الثانية التي تعتبر نتيجة للأولى وهي الاختفاء النهائي والأبدي للغشاء، لا يوجد ما يجعل من غشاء البكارة رمزا للشرف، ودليل على عدم خوض تجربة جنسية سابقة، لأن طبيعة غشاء البكارة عبارة عن أنسجة حلقية، تأتي بشكل حلقي او هلالي مع وجود فتحة مركزية كبيرة ويأخذ عدة أشكال، ويتمدد أثناء ممارسة الجنس ثم يرجع إلى شكله الطبيعي لأنه يشبه شكل ربطة الشعر. يعني لا وجود لغشاء يتمزق أثناء أول

اتصال جنسي(العذرية، youtube.com)، أين نفهم أنه لو يتم تصديق هذه الحقيقة، عن العذرية في المجتمعات التي تعتبر هذه الطية الجلدية في جسد المرأة رمزا للشرف، ويمكن أن تقتل إذا فقدته، لما كنا لنسمع بجرائم الشرف وعمليات ترقيع او إعادة بناء غشاء اصطناعي، او الاستعانة بالأغشية المزودة بالدم المزيف من أجل إثبات الشرف، وهذا كله يشير إلى هوس الإنسان بالجنس بعد البلوغ ودخول سن المراهقة، حيث تصبح رغباته الجنسية على رأس قائمة متطلباته وأولوياته، خاصة في مجتمعاتنا الذكورية، حيث تعتبر المرأة في الطفلة المدللة او اللعبة المفضلة للرجل(لوبورتون، 2014، 131)، فجسدها مصدر متعة داخل البيت وفي إطار مؤسسة الزواج، وهو مصدر قلق وطيش ومعصية اذا تعدى حدوده الخاصة ودخل منطقة الخطر الذكورية، وهي فضاء ما خارج البيت، حيث تتحول المرأة إلى خطر يهدد النظام الإسلامي على مستوى داخل، حاله حال المشرك في الخارج، على حد تعبير الباحثة فاطمة المرنيسي (المرنيسي، 2010، 33).

6- مناقشة النتائج:

من خلال هذه الورقة تبين لنا أن جسد المراهق في مجتمعنا المحلي، تتحكم فيه جملة من الغرائز والرغبات والميولات، خاصة في مرحلة المراهقة واكتشاف اللذة الجنسية، إلا أن التعبير عنها يبقى مرهون بثقافة المجتمع، وأخلاقه وعادته وتقاليده، خاصة الجانب الديني الممزوج بالثقافة الشعبية، وبذلك يمكن القول بتحقق الفرصة الأولى.

كما انه هذه الورقة بينت أن المجتمع لا تزال تتحكم فيه ثقافة وعقلية ذكورية، يتم إعادة إنتاجها عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية، حيث يتقبل المجتمع الجموح الجنسي عن المراهق الذكر، ويجد له مبرراته، ويعتبره تعبير عن الفحولة والقوة، بينما يرفض تلك التغيرات التي تحدث عند الأنثى، ويحاول جرها إلى عالم المسكوت عنه، كونها تعبر عن الضعف والعجز، وهي أيضا مرتبطة بفكرة الشرف والعرض، وبذلك يمكن القول بتحقق الفرضية الثانية.

من خلال هذه الدراسة، يمكن القول أن الجنس والإشباع الجنسي، يصبح هو أهم أولوية في حياة المراهق بعد البلوغ، حيث ينتقل من عبئية الطفولة إلى عبيثة الرشد، وهي البحث عن الإشباع الجنسي، وتلبية رغباته، وبذلك يصبح الجسد وبجغرافيته الجديدة هو أفضل تسلية او لعبة يتحصل عليها المراهق سواء ذكرا كان او أنثى، خير أن الذكر أكثر تحررا، وأكثر جرأة عن التعبير في رغبته الجنسية وحاجته للجسد الأنثوي، وهذا راجع لثقافة المجتمع الذكورية، وهنا يمكن القول بتحقق الفرضية الثالثة.

7 -الخلاصة:

وفي نهاية هذه الدراسة تبين لنا أن المراهقة مرحلة حساسة في حياة الإنسان، حيث ينتقل فيها من الطفولة إلى الرشد والبلوغ، ويجد نفسه أمام تغيرات فيزيولوجية، ورغبات جنسية تكون جامحة وجارفة، التي تجعله يكتشف جسده من جديد، بعد أن نفخت فيه النفس ورغباتها وميولاتها، وهنا يجد نفسه بين هاجس تلبية تلك الرغبات والتحولات التي تنشا عنها صدمات نفسية، حيث يتحول جسده إلى محط أنظار الأسرة والمجتمع، خاصة الأنثى، التي يتحول جسدها إلى لغم ارضي قابل للانفجار في إي لحظة، وبين سلطة ورقابة الأسرة التي لا تعترف بتلك التحولات، وتحاول قمعها، وشيطنة المراهق، ورفض كل سلوكا ته واعتبارها انحراف أخلاقي، بينما هي في الحقيقة مرحلة عمرية يمر بها أي إنسان، كما أن رفض الأسرة والمجتمع احتواء المراهق والاستماع إليه، تجعله يبحث عن مخارج نجدة، للإجابة عن الكثير من التساؤلات التي ترافق مرحلة البلوغ والمراهقة، وهنا يكون الجنس الهامشي وتلبية رغبات الجسد الجديد، هي هاجس كل مراهق، مع تفاوت بين الذكور المتحررين، وبين الإناث المكبوتين والمقموعين اجتماعيا وثقافيا.

قائمة المراجع:

أبو طاحون، عدلي، (1997)، في التغير الاجتماعي، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.

بن حتيرة، صوفية السحيري، (2008)، الجسد والمجتمع دراسة أنثروبولوجيا لبعض الاعتقادات والتصورات حول الجسد، ط1، لبنان: دار الانتشار العربي.

بورديو، بيار (2009)، الهيمنة الذكورية، ترجمة: سلمان قعفراني، ط1، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

الحيدري، إبراهيم، (2003)، النظام الابوي وإشكالية الجنس في المجتمع العربي، ط1، لبنان: دار الساقي.

زمام ربيع ، كرايس الجيلالي، (2017)، إدمان المواقع الإباحية لدى المراهقين ودور التكنولوجيا التواصلية في انتشار الظاهرة دراسة ميدانية، مجلة الرواق، العدد الثامن.

ستيوات ميل، جون، (1998)، استعباد النساء، ط1، ترجمة امام عبد الفتاح، مصر: مكتبة مدبولي.

سرتي، محمد إبراهيم (2008)، الأنثى المقدسة وصراع الحضارات المرأة والتاريخ منذ البدايات، ط1، لبنان: دار الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات المطبعية .

شبل، مالك، (2010)، الجنس والحريم روح السراري: السلوكات الجنسية المهمشة في المغرب الكبير، ترجمة بعد الله زارو، بدون طبعة، المغرب الأقصى: دار افريقيا الشرق .

شرابي هشام (1984)، مقدمات في دراسة المجتمع العربي، ط2، لبنان: الدار المتحدة للنشر.

صائب، وضاح ، (2014)، وأد الأنثى بين النصوص المقدسة والعقدة الذكورية، لبنان: دار الانتشار العربي.

قرامي، آمال، (2007)، الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية: دراسة جندرية، ط1، بيروت: دار المدار الإسلامي.

لوبورتون، دفيد، (2014)، سوسيولوجيا الجسد، ط1، ترجمة عياد ابلال، وابراهيم المحمدي، مصر: روافد للنشر والتوزيع.

محمود، إبراهيم (دون سنة)، الشبق المحرم أطنولوجيا النصوص الممنوعة، بدون طبعة، لبنان: مكتبة عسكر، لبنان.

المرنيسي، فاطمة ، (2010)، ما وراء الحجاب الجنس كهندسة اجتماعية، ط4، ترجمة فاطمة الزهرة ازرويل، المغرب الأقصى: المركز الثقافي العربي ، 2005.

هيلين توماس، جميلة أحمد، (2010) الأجساد الثقافية: الاثنوغرافيا والنظرية، ط1، تر: أسامة الغزولى، القاهرة: المركز القومي.

المواقع الالكترونية:

حسني إبراهيم، عبد العظيم، "الجسد الأنثوي بين المعتقد الشعبي والمعتقد الديني: رؤية انتروبولوجية": http://www.mahapress.com/?p=2325، تصفح يوم 2019/06/10.

خدعة العذرية، Visite le ,https://www.youtube.com/watch?v=3my4-c4Fe5o، 29: 21 10,06,2019.

CHEBEL Malek, (1993), L'imaginaire Arabo-musulman, Edition puf sociologie d' aujourd'hui.

الملاحق:

الملحق رقم 01: جدول يمثل البيانات الشخصية لعينة الدراسة

الرقم	الجنس	السن	الوسط الحضري	المستوى المعيشي	المستوى التعليمي للأب	المستوى التعليمي للأم
01	ذكر	15	المدينة	متوسط	بدون مستوى	بدون مستوى
02	ذكر	16	المدينة	متدني	ثانوي	بدون مستوى
03	ذكر	15	المدينة	متوسط	ثانوي	جامعي
04	أنثى	15	الريف	جيد	جامعي	جامعي
05	ذكر	15	المدينة	جيد	جامعي	جامعي
06	أنثى	16	الريف	متدني	جامعي	متوسط
07	أنثى	15	الريف	جيد	جامعي	متوسط
08	ذكر	16	المدينة	متدني	ثانوي	ثانوي
09	أنثى	16	الريف	متدني	ثانوي	بدون مستوى
10	ذكر	15	المدينة	جيد	متوسط	بدون مستوى
11	ذكر	15	المدينة	متدني	متوسط	ثانوي
12	أنثى	15	المدينة	متدني	متوسط	جامعي
13	ذكر	15	المدينة	متدني	ثانوي	بدون مستوى
14	أنثى	15	المدينة	متوسط	ثانوي	ثانوي
15	ذكر	15	الريف	جيد	جامعي	ثانوي
16	ذكر	14	المدينة	جيد	بدون مستوى	بدون مستوى
17	أنثى	15	الريف	جيد	بدون مستوى	بدون مستوى